

حول تعريف التعليم وتعريف العلم والتكنولوجيا

للدكتور أحمد سعيدان

لا غرو ان دعوات كثيرة قد انطلقت، وما تزال تنطلق ، من افراد وهيئات ومؤتمرات ، تدعو الى تعريف التعليم وتعريف العلم والتكنولوجيا، وان هنالك افراداً وجماعات يضيعون فرعا بهذه الدعوات، فيعارضونها ويطرحون في المعارضة حججا وآراء جديرة بالتأمل والتفكير . وان دعوات الداعين ونواهي الناهين تصطبغ احيانا بصبغة انشائية خطابية او عاطفية انفعالية تنأى بها عن رزانة القرار الحكيم المسؤول؛ وهي تكاد دائما تصدر من منطلقات متعددة متباينة ، فهي تارة قومية وطنية ، وتارة فقهية لغوية ، وهي احيانا تاريخية او اجتماعية ، وكثيرا ما تتعارض او تتشابك او تتناقض، حتى لتكاد تضيع الحجة، ويحجب الشجرة باغصانها ، كما يقولون .

واني لأهم ان اتول وانى عازم على ان اتحو في عرض القضية مندى موضوعيا، لولا انى اجد في من تعرضوا للقضية من يستهلون البحث بزعم كهذا، ثم هم يفرقون السامع او القارىء في متاهات من مغالطات، ومتناقضات، كفريق يضرب على غير هدى، او يدور في دوامة .

وكيلا اضرب على غير هدى او ادور في دوامة ساجتح الى النهج العلمى، فأحاول تحليل الموضوع الى عناصر متميزة بعضها عن بعض ، نسق القى نظرة على هذه العناصر متفرقة ، لأخلص من ذلك الى موازنة عامة، فيها حساب الربح والخسارة، وكشف الحساب، وفيها خطة واقترح ويناء .

ولو كان ما نجابه عبارةً جَبْرِيَّةً أو مُرَكَّبًا كيميائيًّا لوجدنا على الغالب نَهْجًا تقليديًّا لتحليله الى عناصر متميِّزة ؛ ولكننا نجابهُ غَضْبَةً تعيش معنا وتنطوي على واقع مائل اماننا، يقوم على بذور شرارية في اعماق تاريخنا، ويمتدُّ الى كثير من حُطَلَطنا وتطلُّعاتنا . فليس اَمَسَّةً على ما اعلم، نَهْجٌ لتحليله الى عناصر سوى اِنعام النملر غيبه من زوايا مختلفة محدَّدة .

الزاوية التربوية :

وأولى الزوايا المحدَّدة التي منها أنظرُ في الأمر هي الزاوية التربوية، التي قلَّما أو لاها من تعرُّضوا للأمر ما ينبغي من عناية واهتمام .

إنَّ عملية التعليم عمليةً تربويةً ؛ فطبيعيٌّ ان فنظير في تعريف التعليم من الزاوية التربوية المحضة. وتعريفُ التعليم ينسبُ حَقًّا في الأردن تعريف التعليم الجامعي، وينصَّبُ على التعليم في الكليَّات الملائمة . وهذا ما أحصرُ البحثُ هنا فيه، وإن كنتُ اعلمُ أنَّ التعليم غير الجامعي يفتقر في اقطارٍ اخرى عربيَّةٍ الى التعريب . وفي مستهلِّ مدتنا عن تعريف التعليم في الكليَّات العلميَّة طبيعيٌّ ان نستذكر مسأداً نبغى من التعليم في هذه الكليات .

إنَّ إعطاء الطالب معارفٍ وخبراتٍ تُمكنه من اجتياز امتحاناتٍ معيَّنة، ومن ممارسة مهنةٍ محدَّدة يؤهِّله تخصُّصه لها، ليس وحده الهدف من التعليم الجامعي؛ اذ لعلُّ ما في كُتبٍ محدودة قليلة العدد ما هو اكثر واوفى ممَّا يعطي المحاضرون في الجامعة ؛ ولعلُّ في خبرة هندسيَّة يأخذها الطالب من بناء، او خبرة حسابية يفيدها من مسرف، ماء يربو على الخبرة المقتنَّة التي تعطىها الأعمال المخبرية الجامعية في اوساع افتراضيَّة مصطنعة .

ان الجامعة جَسَّو اكايميِّ مثاليِّ، يمارس فيه الطالب الحياة الموضوعية المنظَّمة المضبَّطة بحرية رأي، وحرية تصرف في حدود الموضوعية والنظام والانضباط، وعلى نحو يُستهدف ان ينمي الطالب

نفسه بنساء متكاملات، تبرز فيه شخصيته، وتلمس به مواهبه الكامنة، ويغدو به مواطنا صالحا، ايجابيا غير سلبي، قابلا للتفاعل مع من حوله وممارسة القيادة والريادة، على خلفية من المميزات والقيم التي تسود في المجتمع الذي سيعيش الطالب فيه .

في ضوء هذه الأهداف نسترجع للذاكرة واقع الكليات العلمية المتوافرة، او التي يمكن ان تتوافر على ارضنا، فتتمثل اماننا ثلاثة انواع من هذه الكليات :

اولا : كليات اجنبية اللغة والطابع، كالكليات الانكليزية والامريكية التي نعرفها ؛ لغة التعليم والمعاملات والحديث فيها غير العربية ، حتى يندر ان تجد فيها اثنين يتكلمان بالعربية .

يَدْخُلُهَا الطالب العربي فيصدمه فيها امران : لغة لا يُتقن فهمها ولا التحدث بها ، وبيئة لا يالفها . فاذا هو تكيف مع البيئة وعَجَلَ في اتقان اللغة، سارت معه الريح رخاء، ومضت اموره بآمان في جَوِّ اكاديمي مثالي خصب . اما اذا هو تَعَثَّرَ في هذا او ذاك، فقد ينقطع به الحبلُ في وَسَطِ الطريق، وقد يبلُغ نهاية الشوط خائر القوى مقطَّع الأنفاس .

ونظلم هذه الكليات اذا لم نَعْتَرِفْ بانها تَحَقِّقُ لابنائنا معظم الأهداف التي استرجعناها فيما سبق .

ولكننا نظلم انفسنا اذا لم نَعْتَرِفْ ايضا بانها تُصَدِّرُ عن قيم وأخلاقيات لا تنبعث من بيئتنا وجذورنا التاريخية، وأنها تُعِدُّ الطالب لمجتمع غير المجتمع الذي سيعيش فيه .

لقد حُرِّجَت لنا هذه الكليات نفرا من خيرة ابنائنا وقادة الفكر فيما بيننا ؛ ولكنها اجنبية ، فهي لغيرنا؛ ادارتها ليست بيدنا، وسياساتها ليست من صنعنا، وان من حقنا ، كسائر شعوب الارض ، ان يكون لنا جامعاتنا التي تنشأ بماننا، ويديرها رجالنا، ويملؤها ابناؤنا، وترسُم سياستها في ضوء حاجاتنا وخططنا وطامعاتنا .

انطلاقاً من هذه الحاجة ظهر بيننا النوع الثاني من الكليات، وهي :

ثانياً : كليات عربية الوجه واليد واللسان :

قد يدور في خلدنا أن هذه الكليات تحقق كل ما تحققت الكليات الأجنبية وتزيد على ذلك ، أولاً لأن الطالب العربي أكثر استيعاباً للمعرفة بلغته، ومن ثم فهو أعمق فهماً وأولى بالإبداع، وثانياً لأنه لن يضيع وقتاً وجهداً في اتقان لغة جديدة، وثالثاً لأن الكلية تعدّه لمجتمعنا العربي، وتُنشئه على خلفيّة من قيمنا وأخلاقنا وبيئتنا وتراثنا .

ولكن الواقع غير ما نتوَّع ، لا في الكليات العلمية ولا في الكليات الانسانية او غيرها من الكليات . ذلك ان العلم ينمو في هذا العصر على نحو يوصف بالتدفق او التفجر ؛ ومع نمو العلم وتدفقه يمضي تطوُّرٌ مناهجه بسرعة فائقة، حتى ايندر ان يعيش كتابٌ علمي صالحاً دون حاجة الى تعديل ، أكثر من خمس سنوات . وهو ينمو مادةً ومناهجٌ على ايدي غير عربيّة، وتعبّر عن الجديد فيه والتجديد السنّة غير عربيّة ، في دوريات كثيرة اجنبية .

فالكليات العلمية التي جعلت العربيّة لغةً التداول والتعليم، حُجبت نفسها عن منابع العلم، ولذا ما لبثت ان وقفت بمعزل عن تيار التطور، سواء في المادة العلميّة والتعليمية ، ام في اساليب عرضها ، بل . في اجهزة البحث والتدريس . انّ جُلّ ما تنحصر هذه الكليات فيها هو اجترار وتكرار .

هذا واقعٌ كلُّ من يدرك التطوُّر العلميّ المعاصر لا يستطيع إنكاره ؛ ولقد قال قائلون جدلاً إنّ القلّة القليلة من خريجي هذه الكليات هي وحدها المؤهّلة للاستزادة من العلم، وهي وحدها التي ستحتاج عندما تستزيد الى اتقان لغة اجنبية ، وعندما نُدفع بها الى موطن هذه اللغة . وهذا قولٌ يتم على سطحية وسذاجة ؛ فالعلم الحديث ليس حليّة يتخطى بها من يتدر

او من يشاء، ولكن ه حياة وطريقة حياة، تلمسها في البيت والمدرسة
والمكتب والشارع وكل مكان، وينبغي ان تجدها لدى المعلم
والطالب على السواء . حتى الكليات الانسانية، التي مادتها
مرببة في كل شيء، قد تحجرت لانها افتقرت الى المنهجية التي
تلمسها واضحة في الكتب الأجنبية المتقدمة ، والتي بدونها قلما
يكتمل بحث او تكتمل دراسة .

وهنا امران يتبرم بهما جُلُّ الحاديين على العربية، الداعين
الى استعمالها في كل مراحل التعليم : احدهما الحديث عن هذا
الذدفق السريع في المادة العلمية واساليبها، وثانيهما هذه المنهجية
التي ازمع اننا نفتقدها في الكتب العربية ؛ فقد يحسن الأ نمر
بهما مراما دون مزيد من التوضيح .

اما عن تزايد المعرفة، فيكفي ان نشير الى ان مؤسسة
البيونسكو نشرت قبل حوالي عشر سنوات احصائية تشير الى
أن مطابع العالم كُخرج في كل أربعين دقيقة من الكلام المطبوع
ما لو جُمع في كتاب واحد لبلغ هذا الكتاب أربعة وعشرين
مجادا ، كل منها بحجم المجلد الواحد في الموسوعة البريطانية
المعروفة ؛ وان ما تُصدره هذه المطابع في اليوم الواحد ينطوي
على اكثر من خمسين مصطلحا علميا جديدا، لم يكن له قبل
يوم واحد وجود .

واعلمى ان الناس يُنسُون، ادعو القارئ الى ان يتذكر
كيف كانت وسائل المواصلات، مثلا قبل ثلاثين عاما، وكيف هي
اليوم . إن الذي مكن لهذه الطفرة الواسعة انما هو فيض من
المنجزات العلمية والتكنولوجية، نُقلت العالم من عصر الكهرباء
الى عصر الطاقة النووية والحاسبات الالكترونية وسباق الفضاء .

وهذه المنجزات لم تُحققها عقول عربية، ولم تُفصلها لنا
كتب عربية ، وهي المادة العلمية التي تُسير حياة العصر وتزحم
مناهج الدراسة، وتطورها تتغير الحياة، وتتبدل المناهج. ونحن لا

نملك حيائها الا ان نقف تلاميذ مستقبليين؛ هذا اذا اتبع لنا ان
نفتح النوافذ لاستقبالها ، فان لم نفعل فذلك هو التوقع الذي
لا يلبث ان ينجلي عن تخلف من فاته القطار .

هذه حقائق ، لا مبالغة فيها ولا سبيل الى تجاهلها ار
انكارها ؛ وإن من الخير ان نضعها نصب أعيننا اذا كنا نتطلع
الى تخطيط محكم فعّال .

سيقول قائل : إن دخول العربية من البسب لا يعني تهرب
الانكليزية، مثلاً من الشبّك . صحيح انه لا يعني ذلك ، فلا
لزوم لان تهرب اللغة الأجنبية لأنها لم توجد أصلاً ، الا اذا
حسبنا ان الفيزيائي الذي يقضي عمره يدرّس الفيزياء في كتب
عربية يسهل عليه فهمها في مراجع اجنبية . كلاً ، حتى لو كان
يتقن اللغة الأجنبية قراءة وحديثاً . ليس صحيحاً عندنا ان
العلم ليس له لغة؛ وإن خبرتنا في الجامعة الاردنية لدليل مائل
على ذلك .

اما المنهجية التي اشرت اليها فهي أسم آخر للطريقة العلمية
في البحث والاسلوب العلمي في عرض نتائج البحث .

المنهجية اخلاق ؛ انها موضوعية تتوخى البحث عن الحق وحده،
وتبحث عنه بلا هوى ولا نزق ولا انفعال، ثم تعرض الحق، ولا
شيء غيره ، بلا تكلف ولا رياء ، ولا بهرجة ولا تلوين ، وباسلوب
يعطي الكلمة حجمها الطبيعي، فلا يصف بالمعظمة الآ من كان
له منها نصيب ، ولا يعدّ عظيمًا جدًّا الآ من كان نسيه منها
وافرا ؛ المنهجية تعطي كل ذي حق حقه؛ ماذا عرض امرؤ نتيجة
بحثه، نكر من ساروا في الدرب قبله، وأين وصلوا، وماذا حقّقوا ،
ثم ماذا كان دوره هو، واتي جديد حقّق ؛ والمنهجية امانة ء امانة
تجاه الحقيقة، وتجاه القارىء والتاريخ .

ليس في المنهجية نفاق ولا أسلوب خطابي ولا بالغة ولا بهرجة كلام غير ذي مضمون ، وليس فيها تلوين للحق ولا تحريف له ولا افتراء عليه . وما أحوجنا الى هذا كله في ما نقرأ وما نكتب .

واسم يُسبق الغربُ الى المنهجية : لقد بدأت بالاسلام في مصوره الأولى عندما كان رواة الحديث يَشُدُّون الرحال ، وَيَقْلَعُونَ آلاف الفراسخ من اجل التأكد من نصِّ ما نُسِبُ لراوية ما . ولكنَّ المنهجية ضاعت في العصور الاسلامية المتأخرة ، ولقيها الغرب في اواخر القرن الماضي بعد معاناة طويلة شهد فيها كثيرا من الافتراء وكثيراً من الادعاء . وها نحن اليوم نجدُها في البحوث العلميَّة الغربية، وفي الكتب العلمية الاوروبية، وكثيرا ما نفتقدها في البحوث والدراسات العربية . لقد جَمَعَ بيريون في فهرسه الاول كلَّ ما نُشِرَ في الدوريات من بحوث ودراسات حول الفكر الاسلامي، من مُطَّلِع هذا القسرن الى سنة ١٩٥٥ (المجلد الاول) زهاء ٢٦ الف بحث، ليس بينها بالعربية بحث واحد تتوافر فيه عناصر المنهجية .

خوفاً من التتوقع، وحباً بالمنهجية، اختارت بعض الجامعات العربية نوعاً ثالثاً من الكليات العلمية، وهي :

ثالثاً : كليات عربية انكليزية :

لغة الحياة والمعاملات في هذه الكليات هي العربية ، ولكن لغة المحاضرات والدرس والامتحان هي الانكليزية ؛ فالكتب المقررة والمراجع انكليزية، وعلى هذا فالباب مفتوح على مصراعيه لأحدث المناهج ، ولا خوف عندنا من تتوقع او تحجّر .

بعض الناس يصعب عليهم ان يروا الواقع ، وبعضهم يصعب عليهم ان يعترفوا بما يرون، وهؤلاء جميعاً قد يُعْتَبَرُونَ علي اذا قلتُ إِنَّ الطالب المتوسط عندنا يفقد لغته ولا يتقن الانكليزية ،

بالضبط كالغراب الذي قلد مشية غيره . اننا لم نشعه في ذلك
يتعلم فيه الانكليزية ، لا حديثا ولا كتابة ، وانما طالبنا ان يفهم
ما يقرأ وما يسمع . اما ما يقرأ فتلك مادة الكتب المقررة ، يقرأها
بها الطالب منذ اللحظة الاولى ، فتحدث لديه رعشة وفي نفسه
معدة ، وقلما تزول تلك الرعشة ، وقلما تحل تلك العقدة ؛ فلما
ينبغي ان نحسب انه يفهم ما يقرأ فهما تاما ، واكثرها سور
لذلك المقروء ترتسم في مخيلته ، ومعها تصورات غائمة فليقة لا
تلبث ان تمحي ، فيغدو وكأنه لم يقرأ شيئا .

واما ما يسمع الطالب في المحاضرات فقلما يكون انكليزيا ،
وانما هو خليط من انكليزية سقيمة وعربية عامية ، ومع ذلك ربما
كان هذا الذي يسمعه هو وحده الذي يفيد منه الطالب في
جامعته اذا هو احسن الاستماع ، او اذا احسن المعلم الاداء ؛
لأن طلابنا قلما يرجعون الى المراجع لأنهم لا يفهمونها ، وقلما
يحسنون استعمال كتبهم المقررة لانهم لم يهيأوا لها ؛ وهم قلما
يناقشون في المادة العلمية لانهم لا يحسنون الحديث بالانكليزية ،
فما هي النتيجة ؟ ينضمون الى تلك الاكثريّة السامّة السلبية ،
التي تجهد نفسها في تحصيل بعض الفهم تحصيلا مؤقتا من
اجل الامتحان ، وينتهي بانتهائه .

جاءتني قبيل الامتحان طالبة في السنة الاولى في مسألة
هستيرية تقول : كل مسائل PERCENTAGE هي ملاس
بالنسبة التي ؟ فهل اهتمتني عم تبحت ؟ قلت : لم تدرسي النسبة
المئوية في الصف التوجيهي ؟ قالت بلاس ؛ قلت ذلك هو ما
تبحت فيه ؟

— صحيح ؟

— نعم

— اذن " PERCENT " معناها في المائة ؟

— بالضبط

— ما اغباني !

وفي الامتحان رايت طالبا مضطربا يريد ان يستوضح معنى كلمة " Sphere ". وبعد الامتحان جاء الطالب يجادلني مؤكدا ان معناه نسر الكلمة بمعنى "الجَو" فلما اكدت له ان الجَو يقابلها بالانكليزية كلمة " Atmosphere " ، شعرت بالطالب كأنَّ شبكة معقّدة قد انحلت امام بصيرته .

سأقول قائل : هذا الذي تصفه حالات فردية شاذة، تحدث في مرحلة مبكرة ولا تحدث فيما بعد ذلك، ولكنني اتمنى لو ان احد المهتمين بالامر كلف مجموعة من الطلاب العلميين، في نهاية المرحلة او بعد التخرج، ان يكتبوا له اسطورا قليلة ، بالانكليزية او العربية، في موضوع ما يتعلق بتخصصهم ؛ عندها سيجد هجبا . اسي مع طالب منحناه الماجستير في الرياضيات قصة هجبية ؛ هذا الطالب لا اذكر اسمه ولكنني لا انسى قصتي معه ؛ اتمنته في كل سنة من سنوات دراسته للكالوريوس، ولا اذكر انه في مرة واحدة ناقش او وقف للقاء سؤال او اقتراح حل . كان دائما مع السامتين الذين يحسنون الاستماع ، فاذا جاء الامتحان يخلق مع المتفوقين .

ومرّح الطالب البكالوريوس بدرجة "جيد جدا" ، وتقدم للماجستير، وكان ممن نصيبي ان اعطيه مساقا من هذا المستوى . وكان من واجباته في هذا المساق ان يعدّ تقريرا مكتوبا، وان يشرح مادته في الصف كما نناقشه . وقد اكدت على الطلاب ان يعدّ كل منهم تقريره بالعربية، كما يجري النقاش بالعربية ؛ هذا بالرغم من ان المراجع كلها بالانكليزية . لقد اردت ذلك لأحول بين الطلاب وبين النقل الحرفي من المراجع ؛ لقد اردت ان يكون لهم دور اكثر من مجرد التلخيص . ولقد قام الطلاب بهذه المحاولة، الا ان تقاريرهم كانت كمحاضرات اساتذتهم، خليطا هجيبا من العربية والانكليزية ، الا هذا الطالب، فقبل الموعد المحدد لمناقشة تقريره، جاغني بربو ان يقدم تقريره بالانكليزية

لانه لا يستطيع نقله الى العربية . وحين اخذ الطالب يقرأ تقريره، مضى حوالي ربع ساعة حتى تأكد لدي أنه يتكلم حقاً بالانكليزية، كان تقريره على النحو الذي ألفناه من طلابنا : فقرات مقتبسة من المرجع أو المراجع، ولكن الفاسط الطالب كانت عجيبة ، لا تمت الى اية لغة ؛ حتى تلك الالفاظ التي تتكرر في كل محاضرة في موضوع تخصصه ؛ لقد سمعها اكثر من مائة مرة من عدد من المحاضرين ، ولكن لم يتقن لفظها، فلفظها بطريقة مشحكة تبعث في النفس السخرية ؛ والتفسير واضح : لقد كسان الطالب يحضر المحاضرات ويصغي ، ولكن فكره كان مشغولاً بأن يُسأل هل ان يحفظ صور المادة التي يجدها في الكتاب، فيعيد رسمها على نحو ما في الامتحان ؛ ولو كان اعمق من ذلك فهالسا عجز عن نقل المعاني الى لغته .

والنتيجة واضحة، أننا لم نُخرج فيه طالبا يستطيع ان يكون مواطناً صالحاً، يفيد مجتمعه بعلمه وتخصصه ، لا بالعربية ولا بالانكليزية ولا بخليط من اللغتين ، ولا خريجاً يمكن في أي مجزع ان يُعطي عن جامعته فكرة طيبة . وما اكثر الدلائل على ان القلة من خريجينا هم احسن حالا من هذا الطالب .

إنني أقدرُ لزملائي في الكليات العلمية جهودهم، ولا يدور في خلدي لحظة أن أنتقص من هذه الجهود وهذا الجهد ؛ ولكن النقد الذاتي دليل عافية، والاعتراف بالواقع علامة تسوية، والذم الذي الى الأحسن والعمل من أجله بشيء صحة. وأن من التسوية والصحة والعافية ان نراجع مواقفنا، ونتبين مواقع اقدامنا .

ما العمل ؟

تقتصر الكليات العربية والانكليزية عن تادية رسالتها كما ينبغي، لانها لا تهيئ الطالب للفهم والتفاعل مع العلم الذي يتعلمه، بحيث يصير هذا العلم جزءاً من شخصيته وكيانه وحياته ؛ فهي كتلهما يمشي

الطالب بشخصيتين : شخصية عربية حياتها ومعاملاتها بالعربية ، ولكن لا يتعلم بهذه اللغة، ومن ثمَّ فعلمه ليس عاملاً على تهذيب لغة حياته ومعاملاته ؛ وشخصيةٍ محيرةٍ تُحاول أن تتعلم بالانجليزية وهي لا تفهمها، وتحاول أن تُعبّر عن علمها بهذه اللغة فتتعثّر . انها ازدواجية ذات وجهين : وجهٌ ساذج لا يوجد ما يُصقله، ووجهٌ متخاذل لا يجد ما يبعث فيه نفحةً من ثقة أو قبسا من قوّة .

وتتصرّ الكليات العربية المحضة عن تأدية رسالتها كما ينبغي، لانها بمعزل عن ينابيع العلم . كان ينبغي ان يرافقها جهدٌ دائمٌ لتعريب العلم ؛ أي تكوين اجهزة تعمل باستمرار لنقل الفكر العلمي الى العربية ، كُتباً ومراجع ودوريات. وهذا يقتضي إقامة مؤسسات للترجمة والتعريب، تقوم بجانب المؤسسات الاكاديمية التي تُعنى بتخريج المتخصصين، سواء في العلم او في التكنولوجيا ، حتى يستطيع الطالب والمعلم على السواء ان يصل الى ينابيع المعرفة بلغتهم انسي شاعوا .

ولكن إقامة مؤسسات الترجمة التي تُمدّنا بما نحتاج اليه من كتب ومراجع ودوريات مترجمة ومعربة، مشروعٌ يقتضي عملاً دائماً غير منقطع، لسن يؤتى أكله على نحوٍ مرضٍ في أقل من نصف قرن . فهل نتظار خمسين عاماً حتى تتكاثر لدينا الكتب المترجمة في شتى فروع العلم، ثم نبدأ بتأدية رسالتنا ؟ لا ، فهناك بالتأكيد حلٌّ وسطٌ يُغني قبل تعريب العلم، ويمهّد لتعريبه .

يقتضي هذا الحل الوسط ان يجري التعليم في الكليات العلمية على نحو كالآتي :

١ - في السنة الأولى الاكاديمية يتلقّى الطالب علومه الانسانية بالعربية وباستعمال كتب مترجمة ، او غير مترجمة ، وبأخذ في كلّ فصل دراسي مساقاً في اللغة الانكليزية ، يُعرّفه بالمصطلحات العلمية، ويزيده في هذه اللغة قوّة .

٢ - في السنة الثانية يُبدأ تخصص الطالب، وفيها ينكثى عاونه
بالعربية، الا مساقا واحدا في كل فصل يتعلمه بالانكليزية ، من
موضوعات تخصصه .

٣ - في السنتين التاليتين يُجري تعليم الطالب بالعربية، مع التأسيد
على استعمال مراجع أجنبية ؛ على أن يأخذ في كل فصل مساقا
واحدا على الأقل من موضوعات تخصصه بالانكليزية . وينتظم
استعمال الطالب للمراجع الأجنبية بحيث يفسدو الرجوع اليها
من مستلزمات تخرجه .

إذا جرى في الوقت نفسه ترجمة الكتب العلمية بنشاط ،
لمكن تحقيق الهدف المنشود في وقت غير طويل .

اننا نعتقد أن مثل هذا الحل الوسط أكثر فائدة للطالب
العربي مما تنتجه الكليات العربية المحنسة، والكليات العربية
الانكليزية ؛ وهو بالتأكيد أقل خطرا . انه يشمن تقوية الطالب
باللغة الانكليزية ، ثم هو نهج مرن قابل للتعديل، ولعل مما يلزمنا
في هذه المرحلة من حياتنا أن نُقوي الطالب في لغتين، لا واحدة .
بالاضافة الى اللغة الام .

الزاوية اللغوية :

أما وقد بان من الزاوية التربوية أي نهج ينبغي ان نسلك، فذلك
هو القول الفصل .

ولكن هناك من يتساطون : أتستطيع العربية ان تستويهم
لغة العلم والتكنولوجيا ؟

هل اللغة تُخلق الفكر ام الفكر يُخلق اللغة ؟

وهناك من يجيبون، فيتحدثون عن مرونة العربية واشتقاقيتها،
ومن تجربتها السابقة، وفي طيات هذا الحديث وذاك ترد اقوال هي
مثار جدل ونقطة حوار . وهذه كلها في تفسير معارك جانبية لا تُشتر

ولا تنفع ، ولكل لغة خصائصها وعبقريتها ؛ ونحن نعرف من خصائص
اللغة العربية وطواعيتها للفكرة الدقيقة ما قد يتسع فيه مجال الحديث ،
ونخرج به عما نستهدفه من هذه الكلمات .

واكّن الخبرة المائلة امامنا تشير الى أن لغاتٍ نجمت من لا شيء ،
وأريد لها أن تنشأ وليس لها من الخصائص شيء ؛ ثم هي بإرادة
اهلها استوعبت لغة العلم والتكنولوجيا ، لم تضق بها ولم تخنقها .

ان منات الأقطار في الشرق والغرب تعلّم بلغاتها، وتُسهم في
خدمة العام على قدر طاقتها، وتحرز انجازات ؛ وأكثر هذه الاقطار لم
تكن لغاتها ولا طاقاتها حتى وقت قريب ذات وزن في المقاييس العالمية .

ومن التساؤلات التي تثار : هل نترجم أم نعرّب ؟

قد لا يكون هنالك قاعدة ذهبية عامة أولى من قاعدة وضعها
المجمع اللغوي في القاهرة، اذ قال : الاصطلاح العالمي نُعرِّبه ، اما غير
العالمي فنبحث له عن لفظ عربي .

وقد اعتبروا الاصطلاح عالمياً اذا كان يُستعمل في الانكليزية
والفرنسية والالمانية .

هل ان الاستعمال هو وحدة الحكم في هذه الامور، فقد يشيع
بالاستعمال لفظ اجنبي، ويُسقط لفظ عربي ؛ وذلك كله حسب ذوق
الناس واستحسانهم للفظ أو استجاباتهم له .

يبقى امر لا بد من ذكره لمن يتساطون : هل تتسع العربية لغة
للعلم ، وامام من يجيئون تفزلاً بخصائصها .

تذكر الكلمات المختلفة التي استعمالها شكسبير في مسرحياته
بنحو ١٤ الف كلمة ؛ وعلى هذا نستطيع أن نفترض أن تلك هي سعة
اللغة الانكليزية في ايام شكسبير ، عندما كانت خلواً من الالفاظ العلمية،
لان لغة العلم في البلاد الاوروبية كانت ما تزال هي اللاتينية .

أما الآن فقد أُحْيِيَتْ المصطلحات الانكليزية التي كُنْهت في
حقن الطبِّ العام وحده، دون فروع التخصص، فباخت ٧٤ الفصا .

ماذا يعني ذلك ؟ اذ نحسب ان اللغة الانكليزية قد اتسعت حتى
بلغت المصطلحات العلمية فيها مئات الالاف، تسترعى انتباهنا اسمائياً
اخرى تشير الى ان معظم هذه المصطلحات هي نفسها في الفرنسية
والالمانية . وإن لغات البلاد المتقدمة قد تفتحت بعنُها على بعض
وتعاونت معا في استيعاب الأفكار العلمية .

ان العلم ينمو بأسرع مما تنمو اللغة ، بل بأسرع من خيال
الشعراء ؛ وإن كل لغة لتضيق عن استيعاب العلم او مجاراته .
ولهذا تلهت اللغات وراء العلم، ويضيق العلماء بلهائها فيلجأون الى
الرمزية يعبرون بها عن افكارهم .

أما رجال اللغة فيأخذ بعضهم من بعض دون تحرُّج، وهم
يعتزون بما يأخذون ويعدونه إثراءً للغة .

واني أتمنى لو نُنسج نحن على هذا المنوال، فنأخذ عن اللغات
دون تحرُّج الفاظاً وطُرُق تعبير، ونعد ذلك إثراءً للعربية نعتز به ؛
وذلك كيما نواكب التقدم العلمي، ونساير الركب، ونعترف علمياً وادبياً
بأن اللغة كيان متطور .

هذا ما صنعه أجدادنا عندما قاموا بنقل الفكر الهالي الى
العربية؛ وإذا يضرنا ان تأخذ العربية من السدم الهالي الحديث كما
أخذت في الماضي من الدماء الفارسية والهندية والإغريقية ؟

الزاوية القومية الوطنية :

إذا شئنا ان نتناول الموضوع من كل جوانبه ، فلا بد من التنظر
فيه من الزاوية القومية والوطنية . وهنا يتسع مجال الحديث ؛
فحاولوا لسواء القومية والوطنية يقولون إن لغتنا هي هويتنا، وهي مرآة
شخصيتنا العريقة المميّزة ، ثم ان الاسلام والعربية هما اللذان
يحفظان للأمة وحدتها، رغم ظواهر التفرق والتشرد التي تنجم

لأسباب سياسية . وعلى هذا فهم يرون أن تعريب التعليم واجب
قومي وطني، به نحافظ على هويتنا وشخصيتنا، وبه نقوي روابط
وحدتنا .

ولكن من الناس من يجادلون، فيُشيرون إلى بلاد متفرقة رغم
لها تكامل لغوي واحدة، ويشيرون إلى بلاد مُتحدّة رغم أن فيها
لغتين رسميتين .

وفي تقديري أن الخوض في هذين الرأيين، وتفصيل ما لهما وما
لغيرهما، يُخرج بنا عن موضوع التعريب .

وفي يقيني أنه لو وقف كل أصحاب الرأي ضدّ العمل من أجل
وحدتنا ونوحدنا، لوجب ألا يعوق ذلك العمل من أجل الوحدة، لأن
بها بقاها وتكاملنا وقوتنا .

ولكنّ ذلك حديثنا آخر .